كيف يستكثر من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب والذي في الغيب هو الذي قدره الله من الخير. وقد افرده العلامة المذكور بالجواب فقال ما ملخصه : ان الله تعالى قدّر الخير والشر في الدنيا وجعل لكل مقدور سبباً يترتب عليه ويرتبط به. والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة . فالذي وضع له السم فاكله فمات قد قدّر موته بالسم مع جهله فلو قدر نجاته منه قُدّر اطلاعه عليه فالمقدر على تقدير الجهل نمنع انه مقدّر على تقدير العلم بل المقدر على تقدير العلم ضده . والرزق المقترانما قدر لاهله على تقدير جهلهم بالكنوز وغير ذلك من اسباب الرزق اما مع علمهم بهذه الاسباب العظيمة الموجبة في مجرى العادة لسعة الرزق فلا نسلم انه قُدّر لهم ضيق الرزق كما نقول ان الله قدر للمؤمنين دخول الجنة على تقدير الايمان اما مع عدمه فلا نسلم انه قدر لهم الجنة وبهذا يتضح لك ترتّب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب . ثم قال وقد كثّرت لك النظائر لتستيقظ لهذه القاعدة وسرّ القضاء والقدر فيندفع السؤال وهو موضع حسن . اقول وهذا السؤال احد الاسئلة الاحدى والعشرين المسماة بالاسئلة الهندية وهي في سبعة فنون وقد جعلها السائل لرياضة الافكار . وبما ذكرناه يظهر لك معنى قوله تعالى (وما يُعمَّرُ من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) وان الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان اطاع عمروٌ فعمره ستون والا فاربعون. ونقل العلامة ابن خاتمة الاندلسي في كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد عن عمر رضي الله عنه انه قال لبيتٌ بركبة[٢] احبُّ اليَّ من عشرة ابيات بالشام. ونقل ان الامام مالكاً قال في الموطإ يريد لطول الاعمار والبقاء وشدة الوباء بالشام والله اعلم

محمد كرد علي

غنى افريقية الجنوبية

كتبنا في ما سبق فصولاً كثيرة في غنى الترنسفال الذي جرّ عليها حرباً عوانا سفكت فيها انهار من الدماء وانفقت بدرات الاموال ولكنها نشرت فوقها لواء العدل والحرية واثبتت فيها حسن الادارة والنظام فصارت مقصداً للذين ضاقت عليهم بلادهم او دفعهم الجور الى هجرانها فيجدون فيها مجالاً واسعاً ومنتجعاً طيباً . وقد عثرنا الآن على فصل في غنى افريقية

(٢) ركبة بضم الراء وآخر بالطائف بين عمرة وذات عرق وقيل ارض بني عامر بين مكة والعراق وهي ارض صحراوية سكانها اطول اعماراً واصح ابداناً

موجود فيها بكثرة . واكتشفت حروف أخرى يكثر الذهب فيها وغيرها مما فيه ذهب ولو كان قليلاً يُرجَع اليه بعد نفاد الذهب من المناجم الغنية حين تسهل وسائل النقل والعمل . واكتُشف الذهب في رودسيا ايضاً و يستخرج منهُ ١٥٠٠ اوقية كل شهر وهي تساوي ٤٠٠٠٠ جنيه

على ان الماس والذهب يحتاجان الى الفحم الحجري لاستخراجهما . وقد كشف في الترنسفال ورودسيا مناجم للفحم غنية جداً ولكنها لم تستغل حتى الآن لان الخط الحديدي اللازم لاستغلالها لم يُنجز بعدُ . واذا ذكر الفحم الحجري اتجه الفكر الى الحديد ففي ناتال والترنسفال ورودسيا مناجم كبيرة من الحديد ومن المرجح انهُ سيكشف غيرها ايضاً وهي تكفي لان تشغّل سكان افريقية الجنوبية اذا فرغت مناجم الماس والذهب والفحم . وحينما تتم نبوءة كارنجي الذي تنبأ بقرب نفاد الحديد من انكلترا واميركا يعلم الناس قيمة مناجم الحديد في افريقية الجنوبية

ويأتي النحاس بعد الذهب والفحم والحديد وقد زاد الطلب عليهِ في هذا الزمن ولهُ مناجم في بلاد الراس يستخرج منها الآن ٢٦٠٠٠ طن في السنة ومناجم اخرى في غيرها ولكن المستخرج منها قليل وقد كُشف لهُ منجم جديد في شمالي رودسيا حيث تمد سكة الحديد التي يراد ايصالها الى القاهرة. ويقال ان النحاس كثير هناك ومعهُ مناجم من الفضة والرصاص والتوتيا والحديد

ومما يكثر في تربة افريقية الجنوبية ايضاً القصدير وكان يستخرج من سوازيلند قبل الحرب وقد اكتشفت حديثاً مناجم واسعة منهُ على مسافة ١٦ ميلاً من مدينة الراس . وكشف هناك تراب الخزف الصيني وهو كثير جداً يقدر بمئات الملايين من الاطنان

ويكثر معدن الرصاص الممزوج بالفضة في الترنسفال وفيها معدن الاسبستوس او حجر الفتيلة وهو كثير في بلاد الراس وكان يستخرج قبل الحرب . وكشف فيها معدن الكوبلت ولكنهُ اكثر من حاجة الناس اليهِ . وفيها رخام جيد وكان يستخرج قبل الحرب ويرسل الى انكلترا. ويقال بنوع عام ان جنوبي افريقية اغنى بلدان الدنيا في المعادن ولكن المعادن محدودة في كل بلاد ولا بدَّ من ان تنفد يوماً ما وفائدتها انها تساعد على استعمار البلاد وترقيتها الى ان يتيسَّر لاهاليها استثمار معادنها التي لا تنفد وهي الخيرات الزراعية

وربَّ قائل يقول هل تربة تلك البلاد غنيَّة تصلح للزراعة وتربية المواشي وتقوم بمن يهاجر اليها في طلب الرزق فاجيب ان البلاد الجديدة التي فيها مراعٍ واسعة لرعي الغنم والبقر لا تدعو الحال فيها الى زرع الحبوب والبقول بل يُفضَّل ان تستخدم لرعي المواشي ولكن اقتناء القدر الكبير من المواشي يقتضي رأس مال كبير جداً فهل يستطيع المهاجر الفقير ان يعيش في

تلك البلاد من الزراعة فاجيب نعم اذا كان صحيح الجسم قوي البنية لا يأنف من العمل لان باب الزراعة واسع امامهُ وجميع الحبوب الاوربية قابلة النمو في وادي الفال وما يجاورهُ . واول من شرع في الزراعة هنالك فان ريبك وكان ذلك في سنة ١٦٥٢ بايعاز من الحكومة فاخذ في زرع بعض الاثمار وغيرها ليجهز بها السفن العابرة فنجح في عملهِ واشترى من الاهالي قطعان غنم وبقر فنمت وكثرت . وقد كانت الخمر تصنع في افريقية الجنوبية قبل قدوم الهيجونوت الذين هاجروا اليها من فرنسا . ثم ان دخولهم كان سبباً لتقدم تجارتها حتى اصبحت اليوم خمور الترنسفال تعادل اجود خمور اوربا . والكنياك الذي يعمل في الكاب من اجود ما عرف . ومما يدلك على ربح تجارة الخمر ان الحكومة اشترت منذ عشرين سنة كرماً مساحتهُ ٣٣٠ فداناً بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه وانفقت على اصلاحهِ ٢٠٠٠ جنيه ومنذ اربع سنين عُرض عليها خمسون الف جنيه ثمناً لهُ وفي العام الماضي عُرض خمسة وسبعون الف جنيه فابت ان تبيعهُ اذ هي تربح منهُ المبالغ الطائلة . ويقال انهُ بعد ثلاث سنوات يصير ربحها السنوي من خمرهِ ٢٠٠٠ اجنيه . على ان ذلك الكرم ليس من الكروم المشهورة بخصبها بل ان في البلاد من الكروم ما يربح منهُ اصحابهُ اضعاف ما تربحهُ الحكومة من ذلك الكرم ولكن كرم الحكومة بمثابة مدرسة لتخريج الشبان في فنون زراعة الكرم وعصر الخمر وتدريسهم اياها درساً عملياً . وفي الزنبورج حقل ثان يخص الحكومة وفيهِ نحو سبعين تلميذاً ١٤ منهم من الانكليز وجميعهم يتعلمون فنون الفلاحة والزراعة

وفي مقاطعات الكاب سهول فسيحة جداً يزرع فيها القمح . وكذلك في مستعمرة الاورنج المعروفة بالاقاليم المفتتحة اراضٍ واسعة يزرع فيها القمح بكثرة . اما الذرة فتزرع في المقاطعات الشرقية وفي شمالي الترنسفال . وفي كل هذه الاراضي يزرع الدخن المعروف عندهم "بدخن الكفرة" ويعمل منهُ نوع من البيرة يقال انها من احسن الواقيات من داء الاسكربوط وعملها مباح هناك لنفعها

وقد ابتدئ بزرع الاثمار لتصديرها الى الخارج وبيعها في داخلية البلاد واهتم سسل رودس بترغيب السكان في زراعة البساتين فاشترى بساتين كثيرة وسلمها الى اناس درسوا فن الزراعة في كاليفورنيا فنجحت ولكن ازدياد السكان لم يبقِ شيئاً من الاثمار لتصديرها الى الخارج . وفي تلك البلاد اراضٍ واسعة جداً تصلح لزراعة الاثمار

وقال الكاتب ان قصدهُ في ما كتبهُ هو لكي يظهر للانكليز انهم حيثما توجهوا في المستعمرات البريطانية فابواب الرزق مفتوحة امامهم وان الرزق في بلاد الترنسفال خصوصاً ايسر من الرزق في غيرها وابوابهُ اوسع لمن كان مجداً في عملهِ امينا في معاملاتهِ صبوراً على معاناة المشاق

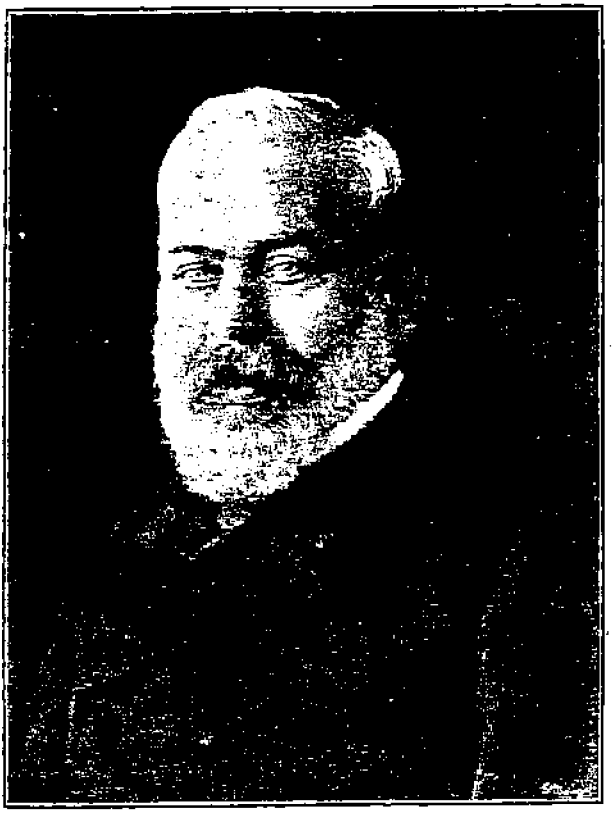

رشاد باشا

بنظارة الخارجية وواظب على العمل بهمة ونشاط . وكان عارفي باشا ترجمانًا لباب همايون فكان يأتمنهُ على اهم الاوراق ويستدعيهِ الى منزلهِ مع بعض رفقائهِ ليترجموا ويبيضوا بعض المشورات الاجنبيَّة. وبعد نحو سنتين انتُخب ترجمانًا لمجلس الوالي الذي تشكل في الباب العالي وتعرَّف بضيا باشا وكمال بك الكاتبين الشهيرين و بعطوفتلونوري بك المعروف باخي الحضرة السلطانية في الرضاع فشكلوا جمعية سريَّة سموها " تركيا الفتاة " وانضمَّ اليها عدد من الشبان الاذكياء . وكان البرنس مصطفى فاضل باشا المصري قد هرب الى اوربا لامور ذات شأن حدثت بينهُ وبين السلطان عبد العزيز والصدر الاعظم عالي باشا واذ كان يحتاج الى كتبة متفننين استدعى نخبة اعضاء تركيا الفتاة الى باريز ومن جملتهم صاحب الترجمة فاقام في باريز ولندن ينشر مع اصحابهِ جريدة " حرّيت " وظهرت اول نسخة منها بمضاة باسمهِ وكان لها شأن عظيم في ذلك العهد. وبقي في باريز الى ما بعد الحرب السبعينيَّة واحتمل مع صديقهِ نوري بك الضيق والجوع في حصارها فكانا يشتريان الدجاجة بعشرين فرنكًا وكسرًا خشب البيانو ليطبخا الطعام ودُعي لحمل السلاح مع الغارد ناسيونال لمحاربة الالمان

وبعد ذلك صدر عفوٌ شاملٌ عن جميع المهاجرين السياسيين فرجع رشاد الى الاستانة بعد ان درس الحقوق وانشأ جريدة دعاها " عبرت " وكان ذلك في عهد صدارة محمود نديم باشا . فاستدعى هذا رشادًا واصحابهُ وخاطبهم قائلاً " عليكم ان تقبلوا احد ثلاثة امور اعرضها عليكم . فاما ان ترجعوا الى اوربا لاني لست عالي باشا لاخاف كتاباتكم . واما ان تقبلوا النفي الى بلاد بعيدة . واما ان تقبلوا بلا تردُّد الخدمات التي تعرضها الحكومة عليكم " فاجابهُ رشاد " ولمَ لا نطلقون لنا حريتنا فنعيش من اقلامنا " فاجابهُ الصدر الاعظم " انك لاتخلو من القحة وانا لا اسمح لكم ان تخطُّوا هنا حرفًا واحدًا " . وفي اليوم التالي استدعاهُ اليهِ وعيَّنهُ قائمقامًا لقضاء بلاجيك ورفع راتبهُ من الني غرش الى ثلاثة آلاف وخمس مئة وقال لهُ ان هذا المركز وان يكن صغيرًا الاَّ انهُ موافق لحداثة سنك وهو اداري وسوف يوصلك يومًا ما الى هذا المسند (قال هذا مشيرًا بيدهِ الى كرسي الصدارة) . فبقي يتقلب في الوظائف من القائمقاميات الى المتصرفيات كمتصرفية جبل بركات وقوظان (بولاية ادنه) واماسيا وصمصون (بولاية سيواس) حتى اواخر سنة ١٨٨٥ لما ارتقى كامل باشا الى مسند الصدارة وكان بينهما معرفة من قبل فلما ذهب رشاد باشا ليهنئهُ التفت اليهِ الصدر وقال على مسمع من الحضور " يا حضرة الباشا ان عندنا قحطًا في الرجال والذين نظيركم من الزم الرجال لنا " . ومنذ ذلك الحين اخذ كامل باشا يسعى بكل واسطة ليرقيهُ الى رتبة والٍ ثم الى

وزارة الداخلية او الخارجية . ولكن عناصر المابين كانت تحبط مساعيهُ لان الجميع كانوا يعلمون ان رشاد باشا لا يملك مالاً ولا عقاراً حتى وان امتدت يدهُ شبّانهو لا يشتري الوظائف شراء. وذات يوم استدعاهُ كامل باشا وقال لهُ "انت تعلم حق العلم اني اشد الناس رغبةً في ترقيتك ولكن الموانع قد حالت دون ذلك فاطلب اليك ان لا ترفض ما قد دبّرتهُ لك وذلك وظيفة قومسير عالٍ في بلغاريا براتب ١٥٠ ليرة في الشهر غير نفقات الانتقال والاستقبال . وسيعيّن خدمتك قطارٌ بخاري يأتي بك الينا كلما مسّت الحاجة لمخابرتنا في المهام واذا قبلت هذه الوظيفة فانك تخدم السلطان والدولة وتكون الوظيفة افضل واسطة ترفعك الى ما تشتهيهِ (يعني بذلك وزارة الخارجية) فقبل رشاد باشا تلك الوظيفة واخّ عليهِ الصدر الاعظم ان يستعد للسفر عند اول اشارة . ولكن المابين لم يصادق على تعيينهِ

ولما رأى كامل باشا ان مساعيهُ تقاوم مع انهُ يريد ان ينفخ في جسم المملكة روحاً جديدة ورأى ان الدولة في حاجة الى رجال ذوي عزم ودراية عاد فاستدعى رشاد باشا اليهِ في اواسط سنة ١٨٨٦ وعرض عليهِ متصرفية سرفيجه . وهي متصرفية مستقلة ومخابراتها مع الباب العالي رأساً . وموقعها في مكدونية على حدود تساليا اليونانية وسالونيك ومناستير ومعظم سكانها من اليونان الروم وفيها جمهور من المسلمين وعدد قليل من الفلاخ وعدد لا يذكر من البلغار . وقال لهُ الصدر الاعظم يومئذٍ ان هذه المتصرفية في مقام ولاية نظراً الى استقلالها وهي غاية في الاهمية لوقوعها على الحدود اليونانية فبقبولك هذه الوظيفة تخدم مصالح وطنك لان المتصرفية محتاجة الى دراية ولاسيما في الوقت الحاضر فان لنا جيشاً جراراً على الحدود تحت قيادة المشير احمد ايوب باشا وقد حصل بيننا وبين اليونان بعض مناوشات ولكن الاحقاد تكاد تزول ومتى وصلت رأيت السبل ممهدة والامور رجعت الى مجراها الاول . فقبل رشاد باشا متصرفية سرفيجه وصدرت لهُ الارادة بفرمان طويل كفرمان الولاة فذهب الى مركز مأموريته وبعد وصوله بايام قليلة اخذ يجول في مراكز البلاد ليختبر بنفسهِ احوالها وحاجات اهلها واميالهم فنشر الوية العدل وساعد الضعفاء وانصف المظلومين وضرب على ايدي الظالمين حتى طار صيتهُ واجتذب قلوب الجميع اذ لم يميز بين المذاهب والعناصر . وكانت القلوب لا تزال نافرة من حكم الاتراك والجرائد اليونانية ومكاتبوها يلقون الحكام العثمانيين بالسنة حداد ولكن عدالة رشاد باشا جعلت تلك الجرائد ومكاتبيها يغيّرون لهجتهم حتى صاروا ينشرون كل ثناء عليهِ مذيعين فضلهُ وعدلهُ وعزمهُ الامور التي لم يروا مثلها في الايام الماضية

وقد كنت ايامئذٍ في تلك البلاد فاستطلعت آراء رؤساء الاساقفة وهم اصحاب الكلمة

والقول الفصل فقالوا لي " لو كنا نتأكد ان الحكومة ترسل الينا حكاماً عادلين كرشاد باشا او انها تبقيهِ هنا حتى يثبت دعائم العدل ويترك لخلف مثالاً ينسج عليهِ لما رأيت احداً من الاهالي يميل الى دولة اجنبية ايًّا كانت " . وهذه افضل شهادة لهُ

وفي اواخر سنة ١٨٨٨ عُيِّن متصرفًا مستقلاً للقدس فاتى فيها اعمالاً مشكورة وارضى بحسن سياستهِ جميع الطوائف والبطاركة والقناصل فانهالت عليهِ النياشين من الدول فانعمت عليهِ الحضرة الشاهانية بالمجيدي الاول ومنحتهُ المانيا نشان التاج البروسي غران قوردون وقلدتهُ فرنسا نشان اللجيون دونور من رتبة قومندور . ومنحتهُ روسيا نشان سان ستانيسلاس وانتدبت بهنَّ ايطاليا واليونان

وكان عالي الهمَّة ذا مروَّة نادرة المثال شاعرًا اديبًا وكاتبًا بليغًا مغرمًا بمطالعة التاريخ والمؤلفات البليغة وقد جمع في مكتبتهِ افضل كتب الفرنسويين وبعض كتب العرب والترك . وترجم جزءًا كبيرًا من ڤولتاير ولكنهُ لم يطبعهُ . ومن اغرب صفاتهِ ان كل من رآهُ احبهُ وتوسم فيهِ الخير . وكان ربعةً ابيض الوجه ذا عينين زرقاوين وراس كبير . صنع لنفسهِ تمثالاً في باريس من شاهدهُ ظنهُ تمثال الملك ادورد السابع لشدة المشابهة بينهما

وهنا اذكر بعض ما جرى لهُ مع سمو البرنس هنري اخي جلالة امبراطور المانيا وسمو البرنسس زوجتهِ لما زارا القدس لاظهر للقارىء ما كان عليهِ من انقاد الذهن وسرعة الخاطر والقوة في اجتذاب القلوب بحسن بيانهِ ولطيف حديثهِ . فانهُ لما اتى البرنس المذكور مع زوجتهِ قصد السياحة في بلاد الشام على صورة غير رسمية اراد جلالة السلطان ان يجعل زيارتهما ذات رونق رسمي فارسل يأمر رشاد باشا ان يذهب الى يافا ليستقبلهما ويلتمس منهما ان يكونا ضيفي الحكومة . فذهب وعرض على سموهما ما أُمر بهِ . فاعتذر اليهِ البرنس بقولهِ لقد وضعت خطةً لسياحتي واريد ان تكون خالية من الابهة والرسميات ويعزُّ عليَّ اني لا اتمكن من قبول دعوة جلالة السلطان . فاجابهُ رشاد باشا على الفور " مولاي ان لسموكم الامر على كل حال ولكني اخشى عدم رضى جلالة مولاي السلطان عني فيظن بي عدم الاهلية لهذه المهمة التي عهد بها اليَّ " . فتبسَّم البرنس وقال لهُ " يا حضرة الباشا لا يسعني والحالة هذه إلاَّ ان اقبل دعوتك واكون ضيفًا على جلالة السلطان "

ثم جاؤا القدس وكان رشاد باشا قد اعدَّ كل لوازم الضيافة متفننًا في اتقانها واكثر من الشمبانيا لان البرنس لا يشرب الماء واذ كان هو وسمو البرنس يحسنان الرماية ولهما ولع شديد بالصيد كانا يجلسان بعد تناول العشاء مع البرنسس ويتبادلان الحديث عن الصيد وعما اصطادهُ

كل منهما في ماضي ايامهِ . فذكر البرنس انهُ اصطاد مرة ثعلبًا احمر . وفي الليلة التالية قال رشاد باشا انهُ اصطاد مرة ثعلبًا ازرق . فضحكت البرنسس حتى استلقت على كرسيها وقالت "وهل يكون الثعلب ازرق" ؟ فاجابها "انهُ لم يكن ازرق تمامًا يا مولاتي ولكنهُ كان مائلاً الى الازرقاق" . فعادت الى الضحك مسرورة من حسن تخلصهِ فقال لها ثانية "ولم لم تستغربي يا مولاتي الثعلب الاحمر الذي اصطادهُ سمو البرنس فارجو من سموك ان تسمحي لثعلبي الازرق مجالاً يمرُّ بهِ كما مرَّ ثعلب سمو البرنس الاحمر وواحدة بواحدة" فضحك الجميع مسرورين

وحدث بين بطركخانتي الروم واللاتين مشاكل اقامت بطريركيهما وقنصل روسيا وفرنسا واقصدتهم فازالت تلك المشاكل على احسن اسلوب ولم يدعها تصل الى الباب العالي او الى السفارتين . وساعد الاسرائيليين كثيرًا اذ كانوا مضطهدين حتى انهُ لما زار المسيو ادمون ده روتشيلد القدس وعلم بما اجراهُ شكر لهُ وعاد الى بلادهِ فرحًا مسرورًا

ولو اردت ذكر كل مناقبهِ وتعداد ايادیهِ على الذين رآهم او عرفهم ما كفاني جزء كامل من المقتطف ولكنني اكتفي بذكر حادثة واحدة وهي انني رأيتهُ ذات يوم في سنة ١٨٩٣ ذاهبًا الى البنك العثماني وعلى وجههِ لوائح الاهتمام فسألتهُ عن السبب فقال ان صديقي فلانًا في حاجة شديدة الى المال وانا ذاهب لارهن بيتي وامدهُ بالمال

وقد ترك نجلين وهما عطوفتلو علي فروخ بك القومبسير السلطاني في بلغاريا وهو من ابرع الكتبة العثمانيين وابلغ شعرائهم ومن المقربين وقد عيّن سفيرًا للدولة العلية في الولايات المتحدة قبل ان تجاوز الثلاثين . والثاني شقيقهُ محمود بك السكرتير الاول للسفارة العثمانية في مدريد وهو شاب على غاية اللطف ورصانة الاخلاق وقد تخرّج في احسن مدارس باريس . ولها والدة وشقيقة وهما من فضليات السيدات عزاهم الله جميعًا واعطاهم الصبر الجميل

كلياتس فيليبذس

المدفع الكهربائي

اخترع الاستاذ بركلند النروجي مدفعًا كهربائيًا مغنطيسيًا . وهو مؤلف من سلك كهربائي لولبي الشكل موضوع داخل انبوبة تنجذب الى داخلهِ القنبلة بقوة مغنطيسية كهربائية ثم تقف في منتصف السلك حيث يعاق المجرى الكهربائي الجاذب ويبقى المجرى الدافع . فتستمر القنبلة على سيرها الى ان تخرج من فوهة الانبوب بعزم شديد اذا كانت قوة المجرى الكهربائي شديدة